British Journal of Teacher Education and Pedagogy
ISSN: 2755-1482
DOI: 10.32996/bjtep
Journal Homepage: www.al-kindipublisher.com/index.php/bjtep

التعليم: وجهة نظر وتأملات

قاسم حسين دهل

تاريخ استلام البحث: 2024/11/02	تاريخ نشر البحث: 2024/11/23	المجلد: 3	العدد: 3

الملخص:

كما كتبت شارلوت برونتي عن حياتها المدرسية في بروكسل في رواية "الأستاذ" التي نشرت بعد وفاة الكاتبة في 1857 م، فإن الكثير مما كتبته هناك يحدث لكثير من الطلاب، وقد تكون الأسباب متعددة وتختلف من مكان لآخر ومن بيئة لأخرى. وقد يكون منشأ هذه الأسباب اجتماعياً، سلوكياً، دينياً، سياسياً، أيديولوجياً، إلخ، وهذه عوامل لا يمكن إنكارها. وهنا ساستعرض بعض ما حدث لي من الواقع الذي عشته كطالب في مختلف المراحل التعليمية.

الكلمات المفتاحية: التعليم، برونتي، المدرسة، المدرس، الطالب، المدرس.

Education: A Viewpoint and Some Observations

Gassim H. Dohal, Independent Researcher, Al-Badawi, Saudi Arabia

Corresponding Author: Gassim H. Dohal, **E-mail**: dr_waitme@hotmail.com

RECIEVED: 02 November 2024 **PUBLISHED:** 23 November 2024 **DOI:** 10.32996/bjtep.2024.3.3.10

Abstract

In her work The Professor, which was released following her death in 1857, Charlotte Brontë described her school life in Brussels. Many students experience similar circumstances, which can have a variety of causes and differ depending on the location and setting. These causes may have their roots in social, behavioral, religious, political, ideological, or other domains. In this section, I'll go over a few of the experiences I had while attending different school levels.

Keywords: education, Brontë, school, teacher, student

المناقشة

فيما يتعلق بالتحيز غير المبرر فالمعلم بشر يخطئ في الحكم، لكن المشكلة إذا كان التحيز متعمداً فهذا قد يكون له أثر سلبي على الطالب، بل قد يؤثر على الطالب بشكل يقلل من حماسه وحرصه. أنا شخصياً صادفت مثل هؤلاء المدرسين ولم يكن التحيز مبرراً بالنسبة لي في المرحلة الابتدائية. وفي سن مبكرة، أذكر أن مدرساً كان يعطي الأولوية في الإجابة لطالب يتبع عرقه وقبيلته، بل إنه يتفاخر بذلك الطالب كلما مرّ على إجابة خاطئة أو لم يوفق صاحبها، مما خلق حاجزاً بين هذا المدرس وكثير من الطلاب، وبعضهم لم يعد يهتم بمادته لأنه يعلم أن المدرس لن يعطيه ما يستحقه من ثناء وتقدير حتى لو أجاب إجابة صحيحة، تماماً كما حدث في رواية "الأستاذ" وصورته المؤلفة باحترافية.

كما أنه في تلك المرحلة المبكرة من دراستي، كان العدد الأكبر من الأساتذة الذين يدرّسون الطلاب لا ينتمون إلى بلد الطلاب، مما سبب لبساً في فهم بعض الأمور، وكذلك دلالة بعض الكلمات. فمثلاً كان بعض المدرسين يطلقون على الطالب المهمل في دراسته كلمة "التيس"، وعندنا كرعاة غنم التيس أفضل أنواع الغنم. أنا أتحدث عن بدايات التعليم في بعض المناطق، وخاصة المناطق النائية، وفي منطقتي كان الذين يجيدون القراءة قلة قليلة جداً في القرية التي أسكنها، والذين يجيدون الكتابة لا يتجاوزون أصابع اليد، وقد تعلموا ذلك على أيدي أناس بشكل بدائي، قبل وجود المدارس النظامية. ولعل أهم مشكلة في ذلك الوقت هي الضرب بالعصا واستخدام اليد وقهر الطلاب وخوف الطلاب من

المعلم إلى درجة يصعب فيها على الطالب الانتباه والتركيز دون النظر والتفكير في هذه الأمور، والخوف أكثر من المعلم "الحونشي." بالمناسبة، لم يكن في المدارس كهرباء، وكنا نجلس على البسط في البدايات على الأرض وهنا أشير إلى ما قبل أربعين سنة من الآن. ورغم ذلك لا أشك أن هناك في عالمنا الآن من لا يجدون مدرسة يلتحقون بها مهما كان السبب، وهؤلاء الأطفال ضحايا حروب أو نزاعات لا يلتفت إليهم أحد. وقد يشير إليهم صحفي أو مراسل وسيلة إعلامية من أجل تغطية مساحة يحتاجها في تقريره الصحفي لا أكثر.

أما في المرحلة الإعدادية، فقد استمرت المعاناة بالنسبة لي بنفس الطريقة، حيث كان بعض المدرسين يأتون ببعض أبنائهم من بلدانهم، وكانوا يتفاخرون بهم ويمدحونهم وكأننا نحن أبناء البلد لا نفهم مثلهم، وهذا له أثر سلبي. ولا أنسى مادة العلوم، وكان المدرس من دولة أخرى، فكان يمدح الطلاب من أبناء جلدته الذين يدرسون معنا دون غيرهم، مما دفعني لعدم الاهتمام بالمادة، وكنت حريصاً على النجاح فيها فقط، وأثر ذلك على استيعابي لعرض المادة. على عكس مدرس الرياضيات الذي كان حريصًا على تعليم الطلاب بجد واجتهاد ومحاولة إفهامهم وهو من نفس بلد مدرس العلوم.

على أي حال، في نهاية المرحلة الإعدادية صادف أن كان مدرس اللغة الإنجليزية من أبناء الوطن، وكان قاسياً ويكلف الطلاب بمتطلبات صعبة مقارنة بمدرسي المادة السابقين، وكان يلجأ إلى الضرب والعقاب، مما دفع الطلاب إلى محاولة كل ما في وسعهم لتجنب العقاب البدني والضرب في الفصل أمام زملائهم. مثل هذه الأمور لم يُكتب عنها، لكنها موجودة وتحتاج إلى دراسة ومعالجة في كثير من الأحيان على الأقل في ذلك الزمن-أي قبل نحو أربعين عاما. في عصرنا الحاضر استبدلت تلك الطرق بطرق وأساليب أخرى مثل إغفال الطالب، وعدم إعطائه الوقت، وكذلك التهاون بإجابته. يكفيك أن تذهب إلى المدرسة ويمكنك حتى اليوم سماع الصراخ ورفع الصوت من قبل المدرسين وحتى العمال. حتى أن المارة يستطيعون التعرف على مبنى المدرسة في وقتنا الحاضر من خلال سماع الصراخ من داخل المبنى. كل هذا له تأثير شديد على الكثير من الطلاب.

وهنا لا بد من التعليق على بعض المواد التي كانت موجودة، ولكن بدون هدف واضح ومعلمين أكفاء، ومنها المواد الاجتماعية، فيطلب ممن لم يكتمل نصابه من المعلمين تدريس مثل هذه المواد. وبالطبع، هؤلاء المعلمون يدفعون الطلاب للقراءة من الكتاب ويطلبون منهم الحفظ دون فهم. لك أن تتخيل مدرس مادة الجغرافيا حين يحضر خريطة إلى الفصل ويعلقها أمام الطلاب ويبدأ بالحديث عن حدود دولة ما، ويطلب من الطلاب الإجابة عما على الخريطة، ثم يكون قد حفظ شيئاً عن تلك الدولة ويقوله على عجل وعلى الطالب أن يحفظ ويفرق بين الدول، خاصة وأن عدد الدول في الفصل الواحد قد يتجاوز الخمس دول أو نحوها. وأتذكر مدرساً عندما وبخني لأنني نسيت ميناءً ثانوياً في دولة إفريقية، أظنني لن أحتاج إلى تلك الدولة أصلاً فضلاً عن موانئها. كما أتذكر مدرسًا آخر كان معروفًا بنرجسيته عندما خلطت بين عاصمتين، وعلق باستخفاف على أدائي لأنه يعرف تأثير ذلك عليّ، ويعرف أن مادته لا ينظر إليها كمادة ذات ثقل مثل الرياضيات واللغة الإنجليزية.

أما بالنسبة لمادتي الرياضة والفنية، فحتى وإن كان الهدف منها تنمية بعض القدرات الفردية إلا أنه ما الفائدة منها إذا كان مدرسو هذه المواد يُؤتى بهم لملئ الفراغ لا أكثر؟ إذا لم تحضر قميصاً بلون معين، فأنت محروم من اللعب مع زملائك رغم معرفة المعلم بفقر الأسر وعدم توفر مثل هذه الملابس في المناطق النائية. يعطي المدرس طلابه الكرة ويطلب منهم النزول إلى ما يطلق عليه اسم "الملعب"، وذوو البنية الكبيرة منهم يتحكمون في كل، والضعفاء لا يستطيعون فعل شيء، ولا يكلّف المدرس نفسه عناء الوقوف مع الطلاب في أغلب الأحيان. أما حصة الرسم، فهي مادة أخرى غريبة، وأدوات الرسم المطلوبة تشغل الطالب وعائلته. في حصة الفنية مطلوب من الطالب أن يقضي الوقت في رسم شيء معين حدده المعلم الذي يشغل نفسه بشيء ما أثناء الحصة، هذا طبعاً قبل وجود الهواتف المحمولة كما هو الحال في الوقت الحاضر.

ثم انتقلت بعد ذلك إلى مدرسة دينية في المرحلة الثانوية وشهدت المبالغة في كثير من الأمور بشكل غير مبرر، والإقبال على الحفظ الحرفي أكثر من المرحلة الابتدائية والمتوسطة. وبالطبع لا يفوتني هنا أن أؤكد على أن الحفظ هو دور المدرسين في جميع المراحل، وعلى الطالب أن يحفظ النص. ولا مجال للنقد أو التحليل، بل إن تحليل الكتاب المقرر هو التحليل الوحيد الصحيح؛ هذا إن وجد ذلك، وعلى الطالب الالتزام به ولا مجال لنقده. وكما هو معلوم ففي مثل هذه المدارس يحاولون تلقينك بطريقة فيها نوع من الإكراه، طبعا أنا كنت متضايقاً من الذهاب إلى تلك المدرسة ابتداءً، ولكن ولأن المدرسة كانت تعطي مكافأة مالية، وعائلتي فقيرة، فقد دفعني والدي للالتحاق بها من أجل الحصول على المكافأة. وكان من نتائج دراستي في تلك المدرسة أن دراستي في المرحلة الجامعية كانت في جامعة لها التوجه الديني ونفس المنهج، لأن الجامعات الأخرى قد يصعب الالتحاق بها.

وكطلاب كنا نُعامل وكأننا لا نعرف شيئاً. حيث كان المخطئ يعاقب بقسوة لفظية وقد تكون قسوة بدنية، وقد يقف الطالب في الفصل لوقت طويل ولا يُسمح له بالجلوس على المقعد. أما رفع الصوت والصراخ من قبل المدرس فلا تخلو مادة من ذلك. وبالطبع كان التوجيه في المدرسة يركز على العلوم الدينية، وبالضرورة هناك رأي واحد صحيح ولا مجال للآراء المختلفة. وبهذه البساطة كانت تصّور المسائل للطلاب.

في الجامعة التحقتُ ببرنامج اللغة الإنجليزية، وكان الهدف الأساسي من ذلك القسم هو نقل العلوم الدينية إلى اللغة الإنجليزية من أناس درسوا بطريقة معينة، وكذلك تزويد المدارس المتوسطة والثانوية بمدرسين ذوي توجه عقائدي "منضبط" كما يظهر للمتتبع. درست في الجامعة بالإضافة إلى اللغة الإنجليزية علوم الدين المختلفة، وكما هو معلوم أن العلوم الدينية عموما قائمة على الحفظ، وإن لم يكن هناك فهم، فكنت أصرف وقتاً طويلاً في مراجعة وحفظ هذه المواد، ولكني عشت حالة غريبة؛ إذ كان بعض مدرسي الدين والمتطلبات الجامعية الأخرى يزدرون إلى حد ما المتخصصين في اللغة الإنجليزية ويقللون من شأن تخصصهم، لأن المتطلبات الجامعية يدرسها متخصصون في علوم أخرى غير اللغة الإنجليزية، وعادة ما يتباهى المنتمون إلى كليات أخرى في الجامعة بمكانة كلياتهم ودونية قسم اللغة الإنجليزية. والغريب أن قسم اللغة الإنجليزية كان تابعاً لكلية اللغة العربية وكأن الغرض منه غرس معنى الرفعة لمن يدرس اللغة العربية؛ فمن يدرس اللغة الإنجليزية لا يخلو من أن يكون طالباً في قسم من أقسام تلك الكلية. وكثيراً ما ترسل الكليات الأخرى أساتذة ذوي توجهات معينة وآراء جامدة مما يسبب الكثير من العقبات أمام طلاب اللغة الإنجليزية، وأحيانا يصل الأمر إلى التحدي بين الأستاذ والطالب كما حدث لي شخصياً عندما راجعت مدرس اللغة العربية في إحدى مسائل المنهج ولم يجد بداً من أن ينهرني بقوله: "بدري عليك." وليس أمام الطالب سوى الإذعان لأنه لن يجد من ينصفه. والطالب بشكل عام لا يستطيع أن يبدي رأياً أو يناقش فكرة على الإطلاق، وما عليه إلا أن يحفظ ما يملى عليه هكذا ببساطة، يا لها من أيام لا تنسى!

بالطبع، خريجي المدارس الدينية يجدون صعوبة في القبول في الجامعات مهما كانت درجاتهم عالية وينحصر قبولهم في الجامعة التي لها نفس التوجه وهذا تماما ما حصل معي. وكان من العقبات التي واجهتها تعلم لغة جديدة وثقافتها وهي اللغة الإنجليزية التي تتطلب جهدًا كبيرًا وتركيزًا. ومن الأمور التي لا تنسى أن المدرسين كانوا متعددي الثقافات وتخرجوا من جامعات متعددة، فمنهم من تخرج من جامعات أمريكية، وآخرون من بريطانيا، وعدد لا بأس به درس اللغة الإنجليزية في مصر وتخرج من جامعاتها.

ومن أكثر الأمور التي لا أنساها أنني كنت أعد تقريراً أو نشاطاً بطريقتين مختلفتين لدرجة أن إجابتي تصل لحد التناقض لمدرسين اثنين درّساني بنفس المستوى، لأنني كنت أعرف ما يريده كل واحد منهما. أما مدرسو مواد الدين واللغة العربية فكانوا أكثر صلفاً وتشدداً مما هو متوقع، مما أثر سلباً على فهم وإتقان هذه المواد. وكان الطلاب حريصين على النجاح في النهاية، أما المعاملة بشكل عام فكانت شبيهة بما قام به وليم في رواية "الأستاذ" للكاتبة شارلوت برونتي من تعالٍ ونظرة دونية لبعض الطلاب بمجرد الشكل والهيئة التي يبدون عليها، ويأتي المدرس إلى القاعة وينادي بأسماء الطلاب لرصد الدرجات مما يثير حفيظة المجتهد، وكان للعرق والمنطقة دور في المعاملة، فالطالب من جنوب البلاد لم يكن يتمتع بما كان يتميز به من كان من وسط البلاد أو غربها. والمدرس لا يرضى بالمعارضة والنقد، كما ذكرت آنفاً ما حدث لي مع مدرس اللغة العربية. وكنت أعيش في السكن الطلابي بالجامعة، وكانت المعاملة من قبل المشرفين قاسية وسيئة، يعاملون الطالب وكأنه أحمق لا يعرف شيئاً، وكانت الغرف تفتش ولا يسمح بدخول المجلات والمسجلات، وأذكر حالة طرد من السكن لأحد الطلاب لأنهم وجدوا مجلة في غرفته رغم أن الطالب يدرس في كلية الإعلام ومن البدهي أن يقتني الجرائد والمجلات.

بعد تخرجي من الجامعة، قمت بتدريس اللغة الإنجليزية في المدرسة التي درست فيها المرحلة الثانوية. لم يكن هناك أي مجال للإبداع ولم يكن بإمكان المرء أن يفعل أي شيئاً، فكنت كالغريب في بيئة لا تعير أي اهتمام للغة الإنجليزية أو لمن يدرّسها. وأصبحت زميلاً لمن قاموا بتدريسي في الماضي، وكانوا يسخرون من جهودي في تدريس اللغة. أما الموجه العام الذي يزور المدرسة سنوياً، فهو سلبي يستمع أكثر مما يشاهد، ويهتم برضا مدير المدرسة وليس له همّ إلا التركيز على الجوانب السلبية وتكرارها كلما سنحت له فرصة للحديث معي.

ثم انتقلت بعد ذلك إلى الجامعة التي تخرجت فيها معيداً، وكُلفت بالتدريس لغير المتخصصين، وكانت القاعات مليئة بالطلاب، حتى كادت أن تكون على شكل مدرجات؛ ذات مرة درست قاعة فيها أكثر من 120 طالباً، كل ذلك أدى إلى عزوف الطلاب عن المادة بعد أن لاحظوا عدم الاهتمام بالمادة من قبل القسم والمسؤولين فيه، وإلا لكان من الضروري حصر الأعداد وتوزيعهم في قاعات دراسية وتوجيه عدد كاف من المدرسين لتدريسهم.

أما بالنسبة للدراسات العليا فقد كانت مسألة أخرى، لقد درست في أمريكا وكان بعض المدرسين يشعرون بالتفوق العرقي والعنصري والحق يقال إنهم ليسوا سواء. وهناك من كان يوجهني باستمرار، وآخرون لم يرغبوا في ذلك. ذات مرة، حرصت على مقابلة أحدهم في مكتبه عدة مرات من أجل التوجيه والاستفسار عن بعض المعضلات التي تواجهني فما كان منه إلا قال لي حرفياً وبنبرة متعجرفة "الأدب للنخبة،" وكأنه يستكثر عليّ أن أكون منهم. وقد كنت مدركاً للفوارق العقائدية والتربوية والاجتماعية التي أحتاج لمعرفتها حتى أستطيع ردم الفجوة بين الثقافة التي أنتمي إليها وبين ثقافة من أتعامل معهم وأدرس أدبهم. أستاذ آخر كان نقده سلبياً طوال الوقت، ويركز على الأخطاء. أما في مرحلة الدكتوراه فدخلت في جدال مع بعضهم بسبب طبيعة المادة العلمية، وللأسف منهم من كان يحسسني بالعرق والثقافة و"العنجهية". وقد درست مادة مع أستاذة كانت حريصة على سؤالي قبيل انتهاء الوقت بدقيقتين أو ثلاثاً مما يمكنها من مقاطعتي إذا ما استمريت في الإجابة، وكانت تركز على الاختلافات الثقافية لأن ثقافتي مختلفة عن ثقافتها. بل وصل الأمر ببعض الأساتذة إلى حد التظاهر بعدم فهم النقاط التي أطرحها وقد يكون ذلك بسبب عدم قدرتي على مجاراة أهل اللغة الذين لا يفوتون الفرصة بمجرد عدم استخدامي للمصطلح الصحيح، وقد يتدخل أحدهم ممن فهموا مقصدي، ويعيد صياغة فكرتي فتلقى قبولاً وثناءً مما يجعلني في حالة من الغبن.

وكُلفت ذات مرة بكتابة تقرير عن أحد الفصول التي أُرسلت إليها، فذهبت إلى القاعة المعنية، وجلست في آخر الفصل، وراقبت ما يحدث بدقة، وكتبت تفاصيل ما حدث في القاعة. وكما هو معلوم كان الطلاب والطالبات في آخر القاعة يبتسمون ويمسكون بأيدي بعضهم البعض ويتبادلون النظرات ولا يعيرون الأستاذة أي اهتمام، مما كان له تأثير على من جلس في آخر القاعة، ويريد الاستفادة من المحاضرة، واستمرت الأستاذة في الشرح دون أدنى محاولة للجم هؤلاء المزعجين، فما كان مني إلا أن دونت ما يحدث في القاعة بعناية فائقة وتوصيف دقيق، وكانت النتيجة محبطة للغاية واعتبرتني الأستاذة التي كتبت لها التقرير أني لم أفهم ما يجري ولم أقم بما يجب القيام به. طلبت منها أن تعطيني فرصة ثانية، وبعد النقد والتوجيه والتحذير من أنها لن تسمح لي بفرصة ثالثة فيما لو فشلت وقد وافقت على إعطائي فرصة ثانية وأخيرة وكتابة تقرير "مناسب" حسب زعمها. كنت أعرف ما تريده، ولم أعد أهتم بما كان يدور في القاعة بقدر اهتمامي بإرضاء معلمتي والحصول على درجة عالية. كتبت تقريراً لا علاقة له بالواقع، وكانت النتيجة مبهرة فقد أثنت الأستاذة على التقرير الجديد وأشادت به في القاعة.

وأخيراً عندما ظننت أنني في بلد يتميز بأساتذته وثقافتهم أستطيع أن أختار من أريد لمتابعة أدائي وتوجيهي أثناء كتابة الرسالة، كنت مخطئاً وغير موفق. وبعد محاولة غير موفقة فقد نصحني أحد زملائي بأن أترك الأمر للمشرف على الرسالة ليختار من يشاء من الأعضاء، وهذا ما فعلته، فتركت للمشرف الاختيار واختار أعضاء لجنة للمناقشة لم أكن أعرفهم، ولكن الأمر سار بسلاسة ولم أواجه أي مشكلة تذكر. في الواقع، يجب أن نكون واضحين بشأن البيئة التاريخية والاجتماعية التي تحدث فيها كل هذه الأمور السلبية حتى يتعلم الآخرون منا ويتعرفوا على الأخطاء والعادات السلبية ويرفضوها.

الخاتمة:

وهكذا فإن ما تصرف به ويليام في رواية "الأستاذ" للكاتبة شارلوت برونيتي واقعي ودقيق، ويمكن أن يحدث مع أي طالب. وعلى الطالب أن يتحمل ويحاول جهده أن يتعايش مع أساتذته حتى يستفيد ولا يتعرض لما يجلب له المتاعب في دراسته. وقد كان للرواية أثر كبير في الكتابة عن مسيرتي التعليمية واسترجاع الكثير مما حصل لي وكتابته؛ فقد عادتني الرواية لفصول الدراسة وذكريات الماضي بمختلف أشكالها.

References

[1] Brontë, C. (1998). *The Professor*. The Electric Book Co.

[2] Dohal, G. (2022). Education and academic freedom. *Revista EDUCARE - UPEL-IPB - Segunda Nueva Etapa* 2.0, 26(2), 438–445. doi:10.46498/reduipb.v26i2.1637

[3] -----. (2024). ENG 140: A Personal Reaction. *World Journal of Advanced Research and Reviews*, 21(1), 2091–2095. https://doi.org/10.30574/wjarr.2024.21.1.0260

[4] Erickson, R. (2000). Charlotte Brontë's The Professor and Natsume Soseki's Botchan: Alienated Loners, Reluctant Teachers, and Unsung Heroines. *Bullletin of College of Foreign Studies, Yokohama: A combined*, *22*, 33-40.

[5] Ghimire, M. (2012). *Resistance to Capitalist and Patriarchal Ideologies in Charlotte* Brontë*'sTheProfessor* (Master's Thesis, Tribhuvan University).

[6] Gregorová, J. (2019). *Teaching and education in Charlotte Brontë's novels Jane Eyre and The Professor* (Master's Thesis, Masaryk University).

[7] Said, E. W. (1983). *The World, the Text and the Critic*. Cambridge, Massachusetts: Harvard University Press. Print.

[8] Sharma, B. (2007). *Social Realism in Charlotte Brontë's The Professor* (Master's Thesis, Tribhuvan University).

[9] Sultana S. (2020). An Extra-European Reader's Rereading of The Professor. *International Journal of English Literature and Social Sciences*, 5(4): 941-44. Available online: https://ijels.com